

من عبود الأدب الغربي:

محاورات خيالية

لولتر سافيج لاندور

للاستاذ بولس سلامة

- ٣ -

المقصود النبلاء

تقديم:

[كانت رومة وقرطجنة في كفاح دام مهرب حول السيادة على البحر ، هذا البحر الذي يفصل بين قارتين ويصل بينهما والذي كان وما يزال موضع النزاع بين الدول الكبرى حتى حربنا هذه . ذلك أن الذي يسود هذا البحر يسود البر والبحر معاً . وكان هينبال ومرسيل قائدي الجيوش المتحاررين وفي هذا المقال من مقالات (لاندور) نرى مرسيل وقد خر صريعاً في الميدان ووقف بجانبه خصمه هينبال يريد أن يتهيج بالنصر ولا يستطيع . ثم نسمع هذا الحوار بينينيل بين القائدين أحدهما جريح مقهور والآخر طائر منصور تأمل هذه الصورة الرائعة ثم انظر نظرة على ما يجري حولنا الآن من محاركات ثم قارن بين الحاليين واسأل نفسك كما سألت نفسي : هل تقدمت الإنسانية أو تدهورت في مدى هذه القرون الطوال] .

(مارسيل القائد الرومان ملق على الأرض أمام هينبال)

هينبال : هلا أجد فارساً نوامدياً صريعاً ! مرسيل مرسيل . إنه لا يبدى حراكاً . أظنه قد مات . ألم يحرك أصبعه ! أيها الجنود تنحوا . دعوه يستنشق شيئاً من الهواء . اعطوه قليلاً من الماء . اجمعوا هذه الأوراق والأعشاب وضعوها تحت رأسه . اخلعوا شكتته ، وارفعوا عنه خوذته . هاهوذا يتنفس . يخيل إلى أنه فتح عينيه ثم أغمضهما . ولكن من الذي لمس كتفي (يلتفت وراءه) هذا فرس مارسيل . لا يمتطيه من بemde أحد . إيه حتى هؤلاء الرومان بدأوا يتذوقون النعيم . ما هذه الحلى الذهبية (مشيراً إلى القوس) .

قائد غالي (١) : يا لآلئ . إن هذه السلاسل كانت قلادة

(١) نسبة إلى بلاد الغال (فرنسا) .

مليكننا . لقد انتفعت منه الآلهة .

هينبال : سوف نتكلم عن الانتقام بين أسوار روما . ابحت عن الطيب الآن فالسهم يجب أن يزرع مهما كان عميقاً . أرسلوا السفن إلى قرطجنة وقولوا لها إن هينبال على أبواب رومة وإن قاهر سيراقوسة قد وقع مقهوراً . لقد سقط مارسيل الذي كان يحول بيني وبين روما . (غاطباً مرسيل) أيها الرجل الشجاع . إنني أود أن أتهيج ولكني لا أستطيع . هذا الحيا أي جلال فيه ! وهذا القوام أي عظمة تحويه ! إنها لعظمة أولئك الذين سمنا عنهم في أرض النعيم . أولئك الذين جاهدوا وخروا على الأرض المضمخة بدمائهم ثم تأمل : ما أبسط سلاحه وغدته ! قائد غالي : لقد قتله أصحابي . بل أغلب الظن أنني قاتله . إن هذه السلاسل الذهبية وقد كانت للملكي يجب أن تكون من نصيبي . إن شرف بلادى يقضى أن لا يأخذها غيري .

هينبال : يا صاحبي إن عظمة مرسيل كانت في غنى عن هذه السلاسل ، فلما قتل ملككم لم يحتفظ بها لنفسه ولا للآلهة ولكنه وضعها على فرسه .

قائد غالي : اسمع لي يا هينبال .

هينبال : ماذا تقول ؟ أي هذه اللحظة التي برقد فيها مرسيل أمامي مشخناً بالجراح وهو بين الحياة والموت ، أي هذه اللحظة التي قد تعود فيها حياته إليه فيساق في موكب النصر إلى قرطجنة ، أي الوقت الذي تنتظر فيه إيطاليا وصقلية واليونان تلبية أوامري ، أي هذا الوقت تسألني أن أسمع لك ؟ ولكن هوّن عليك ! سوف أعطيك سرجي هذا المصع بالجواهر ، وهو أعين من هذه السلاسل عشر مرات .

قائد غالي : لي أنا !

هينبال : نعم لك أنت .

قائد غالي : وهذه الجواهر ؟

هينبال : نعم .

قائد غالي : إيه هينبال الذي لا يقهر ، وما أسعدك يا بلادى بهذا الحلف العظيم ! إنني مدين لك بالشكر ، بالحُب ، بالولاء إلى الأبد .

هينبال : نحن عادة نحدد الوقت في المحادثات . عد الآن

على قساة . إن هينبال تبعده مهام عمله فتبتمد في أثر جواده بسلطته ، وعلى هذه الحشائش بقايا قائد مجروح ولكن لا يزال هو روح الجيش وقوته . أنتستطيع أن تتنازل عن سلطان منحتك لك بلادك ؟ أو تستطيع أن تقول إنك بأخطائك قد جعلته دون سلطان خسمك ؟ فقد تكلمت كثيراً . دعوني أستريح . إن هذه العباءة تضايقتني .

هينبال : لقد وضمتها على رأسك لتقيك الشمس لما دخلوا عنك خوذتك . دعني الآن أضعها تحت رأسك وإن أعيد هذا الخاتم إلى إصبعك .

مرسيل : بل خذها لك . لقد أعطتني امرأة لاجئة في سيرافوسة غطته بخصلة من شعرها وقالت لي خذها هبة مني فهو كل ما أملك . ولم يخطر ببال يومذاك أن سيأتي على يوم يكون فيه حالها حال ومقالها مقال . ما أعجب القدر ! في لحظة تتحول مصائر البشر ! خذها يا هينبال ، وليكن وهذه العباءة التي وسدتها هدايا ضيفين يفترقان . قد يأتي يوم تجلس فيه تحت سقف بيتي ظافراً أو غير ظافر فتجد هذه الهدايا ذات نفع . ففي شدتك قد يذكر أبنائي أن فوق هذه العباءة جاد أبوم بأنفاسه فيكافئونك على جميلك ؛ وفي رخائك قد يسرك أن تحميمهم غوائل الدهر ، وهي أقرب ما تكون إلى الإنسان حين يظن أنه بنجوى منها ، ولكن هناك شيء واحد .

هينبال : ماذا ؟

مرسيل : هذا الجسم .

هينبال : أين تريد أن تحمل ؟ الرجال معدون .

مرسيل : لست أعني هذا . قوتي ترايلني ، ويخيل لي أني أصح ما بداخلي ولا أصح ما حولي . نظري وحواشي تضطرب . أريد أن أقول إن هذا الجثمان بعد أن تفارقه روحي لا يستحق اهتمام أحد ، ولكن نبك يا بني عليك أنت تضن به على أهلي خائفاً وعطفاً .

هينبال : هل عندك شيء آخر تسأله ، فاني أحس رغبة مكبوتة فيك .

مرسيل : الواجب والموت يذكرانا بالوطن أحياناً .

هينبال : أجل فإلى الوطن تتجه أفكار المنصورين والمفهورين على السواء .

مرسيل : هل عندك أسرى من حرمي .

إلى مركزك . إنني أريد أن أرى الطبيب وأعرف رأيه ، حياة مرسيل ، انتصار هينبال . وماذا في العيش بعد ذلك . رومة ، وقرطجنة ، ولا شيء .

مرسيل : أموت الآن ، للآلهة الحمد . فالقائد الروماني لا يؤخذ أسيراً .

هينبال : (للطبيب) ألا يقوى على السفر بحراً . انزع منه السهم .

الطبيب : إذا نزعته قضى نحبه .

مرسيل : إنه يؤلني ، انزعه .

هينبال : يا مرسيل إنني لا ألتج ظلاً للألم في عيالك . وإنني أكره أن أتعجل منيتك وأنت خصمي في يدي . وما دام شقاؤك عسيراً فأنت — كما تقول — لست أسيراً .

هينبال : (للطبيب) أليس لديك ما يخفف هذا الألم الذي يحسه وإن كان يخفيه ؟

مرسيل : يا هينبال أعطني بذلك . لقد جوتني بمطفك ، وآسيت جرحي بلطفك . (للطبيب) اذهب يا صاحبي فهناك كثيرون يحتاجون إليك ؛ كثيرون وقعوا بجاني .

هينبال : يا مرسيل هل لك أن توصي بلادك بالصلح وتخبر مجلس الشيوخ بتفوق قواتي التي لا تجدى معها المقاومة . اللوح معد ، وهذا ختمك دعني أنزع من يدك لتختم . كم يسرني أن أراك تستطيع أن تتكلم قليلاً وتبسم .

مرسيل : بعد ساعة أو بضع ساعة سوف تلقاني الآلهة غاضبة وهي تقول يا مرسيل : هذه كتابتك . لقد فقدت رومة رجلاً فقدت مثله رجلاً من قبل ؛ ولكن لما يزل في رومة رجال .

هينبال : ماذا تقول ؟ أنتخشي الكذب ؟ إنه ليخجلني أن أعترف لك بأن رجالي متوحشون والمراكز القريبة يقوم عليها غاليون موتورون ، والنوماديون ليسوا بأقل وحشية . وإنني لا أستطيع البقاء بجوارك إذ أحتاج أن أكون بعبداً ، وأخشى أن ينالك سوء في غيابي إذا علم هؤلاء أنك آيت أن تنصح بلادك بالصلح فنتهم العودة إلى بلادهم التي طال عنها غيابهم .

مرسيل : يا هينبال أنت لا تجود بأنفاسك كما أجود .

هينبال : ماذا تعني !

مرسيل : أعني أنك تخشى أشياء كثيرة ولكنني لم أعد أخشى شيئاً . إن قسوة جنودك لا تضيرني وجنودي لا يكونون